

## من تاريخ الدعوة السلفية

الشيخ عبد الحميد بن باديس

قائد الحركة الإصلاحية في الجزائر

بقلم الشيخ محمد شريف الزبيق المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة  
لقد حمل ابن باديس لواء الإصلاح والدعوة لإيقاظ الوعي الإسلامي في بلاد الجزائر ، في زمن ضرب فيه الجهل بجرانه ، وراجت فيه الشعوذات والبدع ، بعد أن سقطت البلاد في حضيض الضعف ، واستولى الفرنسيون على السلطات وسعوا في زيادة مصائب الجزائريين ، فسلطوا عليهم سياط العذاب والهوان والإرهاب من سفك للدماء وتشريد للأحرار وإفقار للعوام ، وتركهم فريسة الجوع والبؤس والجهل ، واستمر الاستعمار زهاء 13. عاما بكابوسه الفظيع إلى أن أثمرت جهود العاملين المخلصين أمثال الشيخ ابن باديس ، وهب الجزائريون عن بكرة أبيهم يذودون عن الحمى ويجاهدون في سبيل الله ، وأصلوا المستعمرين حربا ضروسا لا هودة فيها طيلة ستة أعوام سقط فيها مئات الألوف من الجزائريين صرعى البغي والعدوان وطفرت الجزائر بحريتها رغم انف وزير خارجية فرنسا<sup>1</sup>.

وإذا كان الأجل لم يمهل ابن باديس حتى ينظر بعينه إلى جهاد أبناء وطنه ويسعد بلفتصارهم - إذ توفي قبل نشوب الثورة الجزائرية بخمس عشرة سنة - فإنه كان واثقا من نصر الله ، دائبا في بذل أقصى ما يستطيع من جهد في إرشاد العامة ونشر العلم بين نابتة البلاد ، وتنقلا بين حواضر الجزائر وبواديها ، لا يهدأ له بال ولا يفرقه قرار ، يصدر الصحف العلمية الإسلامية وكلما عطل له المستعمرون صحيفة جدد غيرها وكان مع هذا كله يتعبد بتأمل ويحقق واصلا ليله بنهاره غير مشفق على نفسه ولا على جسمه ، وقد هم بالخروج إلى جبال أوراس لإعلان الجهاد على الفرنسيين وكان يسعى لجمع الرجال لهذه الغاية . وحين اشتعلت الحرب العالمية الثانية قبيل وفاته اجتمع بأنصاره وقال : " عاهدوني " فلما أعطوه العهد قال : " سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر إيطاليا عليها الحرب .

وقبل الحديث عن حركة ابن باديس لابد من ذكر نبذة عن سبقه من العلماء المصلحين - وبعضهم معاصرون له ومنهم أساتذة تلقى عليهم دروسه الأولى - وكان هؤلاء العلماء نجوميا يضيئون في ليل الجزائر البهيم حيث يخيم ظلال الجهل والتعصب والجمود الفكري ، ويستشري داء البدع والمحدثات ، التي كان يتولى نشرها والدفاع عنها جهة اتباع الطرق الصوفية التي سندها الاستعمار ..حتي شاعت في بلاد المغرب عامة ، وبلغ عدد الزوايا الصوفية في الجزائر وحدها 349 زاوية يتبعها نحو ثلاثمائة ألف مريد وقد جرى الفقهاء هؤلاء المتصوفين وأصبح أكثرهم طريقين حين لم يروا جدوى من معارضة هؤلاء المبتدعين . وقد أدى انتشار البدع والاعتقاد بالخرافات والأوهام إلى استسلام الناس للواقع والقعود عن مقاومة المنكر والجبن عن قتال أعداء الإسلام وصار أحدهم إذا سئل عن حالة يقوم : " نأكل القوت ونسرى الموت " .  
وهنا برز جماعة من الفقهاء السلفيين الذين أثار بهم هذه الأحوال فقاموا بنشر العلم وبث الوعي وتنوير الأذهان ومحاربة البدع والمنكرات.

كذلك أثرت حركة السيد محمد بن علي السنوسي - وهي حركة إصلاحية تعتمد على الجهاد للتخلص من النفوذ الأجنبي ، ومع إن الدعوة السنوسية صوفية فقد اتصلت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأثرت بروحه السلفية ، وكان للزوايا والرباطات السنوسية أثرا في إيقاظ الوعي الإسلامي في المغرب ، وعلى الأخص في أقاليم برقة وطرابلس والجزائر.

و يعتبر الشيوخ صالح بن مهنا وعبد القادر المجاوي وحمدان الونيسي والمولود بن الموهوب والمولود الزريبي وعبد الحليم بن سماية ومحمد بلخوجة طلائع حركة الإصلاح وهذه نبذة عن كل منهم:  
1 - الشيخ صالح بن مهنا : كان يتولى التعليم والإرشاد بمدينة قسنطينة وامتاز بأسلوبه العاطفي الذي حرك الضمائر ، وبدأ بإيقاظ الغافلين ، فعملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على إبعاده ، وصارت مكتبته النفيسة ، ومؤلفاته الكثيرة<sup>2</sup> وقد توفي رحمه الله عام 1325هـ.

2- الشيخ عبد القادر المجاوي : كان عالما مفكرا عاملا بعلمه ، يقوم بتطبيق ما يراه من مناهج الإصلاح وأساليب التربية والتعليم ، ابتداء التدريس في مدينة قسنطينة سنة 1286م مدرسا متطوعا ، ثم عين مدرسا بجامعة الكتاني سنة 1290. وتولى التدريس بالمدرسة الكتانية سنة 1295 ، ثم أبعده الحكومة الفرنسية من قسنطينة إلى مدينة إلى الجزائر سنة 1316 فدرس في المدرسة الثعلبية التي تم بناؤها سنة 1322 ، ونالت دروسه إقبالا من الناس ، وأحبوا فيه صدق اللهجة وصفاء السريرة ، وظل يخاطب القلوب ويربى النفوس إلى أن أدركته الوفاة سنة 1332، وله مؤلفات كثيرة منها : إرشاد المتعلمين ، والمرصاد في مسائل الاقتصاد ، وشرح منظومة في إنكار البدع والمفاسد الاجتماعية ، والمنظومة للشيخ المولود بن الموهوب مطلعها:

صعود الأسفلين به دهيئا

لأن للمعارف ما هديئا.

وله رسالة في التربية ، ورسالة في علم الكلام سماها القواعد الكلامية.

3- وقد ترك الشيخ المجاوي من بعده تلميذه الشيخ حمدان الونيسي الذي خلفه في التدريس

<sup>1</sup> كان وزير خارجية فرنسا صرح عند نشوب الثورة الجزائرية بأنه لن يفاوض الجزائريين ولن يدع الهلال ينتصر على الصليب

<sup>2</sup> شروط النهضة ومشكلات الحضارة لمالك بن نبي ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي.

بقسنطينة. والونيسي هو أستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة والشيخ أحمد الحبيباتي، وقد هاجر الشيخ الونيسي إلى المدينة المنورة وتوفي فيها.  
4- الشيخ المولود الزريبي المتوفى سنة 1343 وهو من بلدة زريبة الوادي بناحية بسكرة تلقى العلم في الجامع الأزهر ثم عاد إلى الجزائر وقام بالتدريس في منطقة الأوراس، وكان من العلماء المشهود لهم بالصلاح، ومما يذكر عنه أنه لجأ إلى حيلة طريفة فعمد إلى كتاب (المرشد المعين) وهو كتاب معروف لدى الخاصة والعامة فشرحه وبث فيه آراءه الإصلاحية ودعوته السلفية لمقاومة البدع، وكانت تجري بينه وبين أئداده مناظرات في (المحدثات في الدين).

5 - الشيخ عبد الحليم بن سماية المتوفى سنة 1351 وكان على صلة بالسلفيين في مصر، وخاصة الشيخ رشيد رضا، وقد درس رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للجر جاني وألفية ابن مالك وشروحه والعقد الفريد لابن عبد ربه وحماسة أبي تمام ومفصل الزمخشري، وله تأليف نفيسة منها كتاب (فلسفة الإسلام) الذي ألقى الفصل الأول منه في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد في الجزائر سنة 1323 وحين زار ملك المغرب الأقصى عبد العزيز الجزائر عام 1319 دعا الشيخ عبد الحليم للغداء فاعتذر<sup>3</sup> بقصيدة منها:

|                                |                            |
|--------------------------------|----------------------------|
| أمولاي شمس الفضل والعلم والنهى | وأجدر من يجري اللبيب ثناءه |
| سلام عليكم عاطر متزوع          | كمسك ذكا بل لا يكون بواءه  |
| وأفضل تكريم وأزكى تحية         | يقيمان للقدر العظيم وفاءه  |
| ويرأب كل منهما نأي عبدكم       | بغيبته عما إليه دعاءه      |

علمت بأن المشي بالجفن واجب  
6 - الشيخ محمد بلخوجة المتوفى سنة 1333، وكان شاعرا مشهورا بتقديمه بالأدب والعلوم العربية، وهو أعلم علماء عصره بتراجم علماء الجزائر، وكان واسع الاطلاع ولوعا بالكتب العصرية، وقد قام بنشر تفسير عبد الرحمن الثعالبي من رجال القرن التاسع بعد تحقيقه على سبع نسخ، ونشر كتاب السيوطي: "الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض".  
وقد عزلته السلطات الفرنسية من عمله، فأخذ يلقي دروسه في جامع حي بلكلور بمدينة الجزائر.

---

<sup>3</sup> الظاهر أن سبب اعتذاره نفته من الحضور في مأدبة يشهدها الحكام الفرنسيون.